

تأليف

معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

أعده للنشر

فهد بن إبراهيم الفعيم





أصل هذا الكتاب

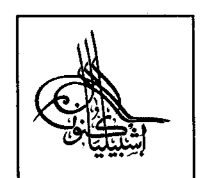
محاضرة بعنوان : أحكام التعامل مع غير المسلمين، لمعالي الشيخ الدكتور/صالح بن فوزان الفوزان ، ألقاها بجامع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه الله) بمدينة جازان بتاريخ ١٤٢٩/٢/٢هـ .

أَحْكَامُ التَّعَامُلِ مَعَ غَيْرِ المُسْلِمِينَ

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
الفوزان، صالح بن فوزان
أحكام التعامل مع غير المسلمين/صالح بن فوزان الفوزان؛ فهد
إبراهيم الفعيم (محقق) - الرياض، ١٤٢٩هـ.
٢٦ صفحة؛ ١٤×٢٠سم
ردمك: ٧-١٢-١٠٠١-٨٠٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- أهل الذمة ٢- (المعاملات) فقه إسلامي
أ- الفعيم، فهد إبراهيم (محقق) ب- العنوان
ديوي ٢٥٦,٩ ١٤٢٩/٥٧٩٣

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٥٧٩٣
ردمك: ٧-١٢-١٠٠١-٨٠٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
E-mail: eshbelia@hotmail.com

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم...

أما بعد:

شريعتنا الإسلامية كاملة وشاملة، وضعت الضوابط والأسس لتعامل المسلمين مع ربهم، وفيما بينهم، وأيضاً مع غير المسلمين؛ فقد وردت آيات وأحاديث للتعامل معهم، وعند اتساع رقعة العالم الإسلامي مع الفتوحات الإسلامية؛ حرص العلماء على تبيين أحكام هذا التعامل، وآليته في التجارة والقضاء وسائر المعاملات.

ومن العلماء في عصرنا العلامة معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء؛ فقد ألقى حفظه الله محاضرة بعنوان: **أحكام التعامل مع غير المسلمين**؛ وأذن لي بإخراجها وإعدادها للنشر.

وفي الختام أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجزي شيخنا خير الجزاء.

فهد بن إبراهيم الفعيم

الرياض ١١٣٦٥ ص ب ٣٩٠٤٨٤

Email: msjd@ gawab.com



إذن طباعة

الحمد لله، وبعد: فقد أذنت للشيخ فهد بن إبراهيم الفعيم بطباعة محاضرتي: **(أحكام التعامل مع غير المسلمين)** رجاء أن ينفع الله بها، وجزاه الله خيراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

١٤٢٩/٧/٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم :
التاريخ :
المشفوعات :
الموضوع :

الحمد لله، وبعد: فقد أذنت للشيخ فهد بن إبراهيم الفعيم بطباعة:
مذكرته «أحكام التعامل مع غير المسلمين» رجاء أن ينفع الله بها
وجزاه الله خيرًا - وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
١٤٢٩/٧/٢٧هـ

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، أمّا بعد:

فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾(١)، فالله جلّ وعلا خلق الخلق لعبادته، لا لحاجته إليهم، أو إلى عبادتهم، لأنه غنيٌّ عنهم، ولكن لحاجتهم هم إلى الله، ففي عبادتهم لله يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى، فالله جلّ وعلا يكرمهم، وينعم عليهم في الدنيا والآخرة، فعبادتهم لله لأجل مصلحتهم هم، أمّا الله جلّ وعلا فإنه غني عنهم، ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(٢)، فخلقَ الخلْقَ لعبادته، وفطرهم عليها، فكل مخلوق يتجه بفطرته إلى الله، إلى خالقه، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٣)،

---

(١) سورة الذاريات، الآية: [٥٦-٥٧].

(٢) سورة إبراهيم، الآية: [٨].

(٣) سورة الروم، الآية: [٣٠-٣٢].

وقال النبي ﷺ: **(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**[١] ، وفي الحديث القدسي أنّ الله جلّ وعلا قال: **(خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)**[٢]، فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، وفطرهم عليها فهم يتجهون إلى الله جلّ وعلا بفطرتهم، ولكن شياطين الإنس والجن يفسدون الفطرة بالتربية السيئة، بدايةً بالأبوين، **(فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**، وكذلك دعاة الضلال يفسدون الفطرة التي كانت صالحة وقابلة للخير، فيحولونها إلى فطرةٍ خبيثةٍ منحرفة.

والله جلّ وعلا خلق آدم عليه السلام أبا البشرية وجعله نبياً مكلماً يعبد الله سبحانه وتعالى موحداً لله حنيفاً مخلصاً لله عزّ وجلّ، وتبعه أبناؤه وذريته من بعده إلى عشرة قرون وهم على دين أبيهم آدم كما ذكر ذلك عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما، كانوا على الدين الصحيح يعبدون الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[٣]، كان الناس أمةً واحدةً على الدين الصحيح، ليس بينهم تفرّق، ولا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: [٢١٣].

اختلاف ثم اختلفوا بعد ذلك، كما في الآية الأخرى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾(١).

ومتى حدث هذا الاختلاف؟ حدث في قوم نوح عليه السلام، فإنهم كانوا في بداية الأمرهم على الدين الصحيح، وكان فيهم العلماء والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن قدّر الله أنه كان فيهم رجال صالحون، وعلماء ماتوا في عام واحد، ففقدهم الناس وحزنوا عليهم، فجاء الشيطان إليهم منتهزاً هذه الفرصة، فقال لهم صوّروا صور هؤلاءِ الصالحين، وانصبوها على مجالسهم، من أجل أن تتذكروا حالهم فتنشطوا للعبادة، هكذا نصيحة الشيطان لبني آدم، زيّن لهم أن هذا العمل يقصد به التذكر لأحوال هؤلاءِ الصالحين والاقتداء بهم حينما ينظرون إلى صورهم، فصوّروا صورهم، ونصبوها لهذا القصد، وكان فيهم العلماء، ولم يتمكن الشيطان من أكثر من هذه الحيلة، وانتظر حتّى مات العلماء الموجودون، وجاء جيلٌ جديد جهال ليس فيهم علماء، ونُسخَ العلم، أو نُسَي العلم، فجاء الشيطان مرةً ثانيةً إليهم وقال: إنّ آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلاّ ليعبدوها ويسقوا بها المطر، فزيّن لهم عبادتهم، فعبدوها من دون الله عزّ وجلّ، عند ذلك حصل الشرك، وتغيَّر دين آدم عليه السلام، وحدث الشرك في الأرض، فبعث الله نبيه

(١) سورة يونس، الآية: [١٩].

نوحاً عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى الله، إلى عبادة الله التي كان عليها آباؤهم وأجدادهم، يدعوهم إلى الرجوع إلى عبادة الله، لكن تمكن الشرك من قلوبهم فأصروا على عبادة هذه الصور، وقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾(١).

هذه قصة حدوث الشرك في بني آدم، عند ذلك انقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، الذين اتبعوا الرسل، وآمنوا بهم بقوا على الإيمان والتوحيد واتباع الرسل، والذين عصوا الرسل وخالفوهم انحازوا إلى الشرك وإلى الكفر، فانقسم الناس إلى مؤمنين، وكفار من ذاك الوقت، ولكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه لم يترك عباده بل أرسل الرسل تترى، تتتابع تدعو الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وتعلّم الناس دين الإسلام، فمازال الله يبعث الرسل في الأمم، إلى أن جاء عهد نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين، فأرسله الله إلى الناس كافة، وكان النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة، أمّا نبينا ﷺ فإنه بُعث إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٢).

---

(١) سورة نوح، الآية: [٢٣-٢٤].

(٢) سورة سبأ، الآية: [٢٨].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(١)، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢)، فلا يزال لطف الله جلّ وعلا، وفضله على عباده أنه لم يتركهم فريسةً لشياطين الإنس والجن، بَعَثَ الرسلَ وأنزل الكتبَ، وكان آخر ذلك محمد رسول الله خاتم النبيين، وكان الإسلام الذي جاء به خاتم الأديان، وهو دين الناس جميعاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلما انقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسلَ لدعوة الناس إلى الرجوع إلى عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٣).

شرع الله سبحانه وتعالى أحكاماً يتعامل بها المسلم مع الكافر، وهي أحكامٌ باقيةٌ ومستمرةٌ إلى أن تقوم الساعة، أول ما يتعامل به المسلم مع الكافر الدعوة إلى الله، دعوة الكفار إلى الإسلام، ودعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى، لأجل مصلحتهم، وهدايتهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، قال الله جلّ وعلا لنبينا محمد ﷺ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: [١٠٧].

(٢) سورة الأعراف، الآية: [١٥٨].

(٣) سورة الأنبياء، الآية: [٢٥].

وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٢]، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣]، فدعا ﷺ إلى الله كما أمره بذلك، واستجاب له من استجاب ممن كتب الله لهم السعادة، وخالف من خالف.

وقد شرع الله أحكاماً للمسلم وأحكاماً للكافر، **أولها**: الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فنحن لا نترك الكفار على كفرهم، وعلى شركهم بل يجب علينا دعوتهم إلى الله لمصلحتهم وهدايتهم، فندعوهم إلى الله، وهذا أمرٌ واجبٌ مستمرٌ إلى أن تقوم الساعة.

الدعوة إلى الله من آكد الواجبات، وفيها إحسانٌ إلى البشرية، لأجل أن يخرج الله من يشاء من الظلمات إلى النور﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤].

---

(١) سورة النحل، الآية: [١٢٥].

(٢) سورة الأحزاب، الآية: [٤٥- ٤٦].

(٣) سورة يوسف، الآية: [١٠٨].

(٤) سورة إبراهيم، الآية: [١- ٢].

هـذا واجـبٌ عظـيمٌ علينـا نحـو الكفـار، أن نـدعوهم إلى الله، إلى الدخول في الإسلام، إلى ترك الكفر والشرك، إلى الرجوع إلى عبادة الله التي خلقوا من أجلها، وفيها سعادتهم وفلاحهم وصلاحهم، فالدعوةُ إلى الله أمرٌ قائمٌ، لا ينتهي إلى أن تقوم الساعة، وهي فرض على المسلمين، فرضُ كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن تُركت نهائياً فإنّ المسلمين يأثمون جميعاً لتركهم هذا الواجب.

ثم بعد الدعوة إلى الله، من آمن بالله وقبل الدعوة وصار من المسلمين، فهذا قد عاد إلى رشده، ورجع إلى صوابه، وأنقذ نفسه من الكفر والشرك، وأنقذ نفسه من النار، فنحن ندعوهم لأجل مصلحتهم وهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، عملاً بأمر ربنا سبحانه وتعالى.

ثم بعد الدعوة إلى الله من استجاب قبلناه وصار أخاً لنا، وصار منا ونحن منه، ومن أبى ولم يقبل الدعوة فهذا على قسمين:

القسم الأول: إنسان كفره قاصر على نفسه، لا يدعو إلى الكفر، ولا يدعو إلى الشرك، وإنما كفره وشركه قاصر على نفسه، فهذا يُترك، كالشيخ الكبير الهرم، والصبي الصغير، والمرأة، والرهبان في صوامعهم، فهؤلاءِ اختاروا لأنفسهم الكفر، ولا ينشرون الكفر في

الأرض، ولا يدعون إلى الكفر، فهؤلاءِ لا يُتعرض لهم، لأنهم لا يخشى منهم نشر الكفر والضلال، وإنما شرهم قاصر على أنفسهم، ونحن لا نملك هدايتهم، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(١).

والقسم الثاني: الذي يصدُّ عن دين الله، ويعارض الدعوة إلى الله، وينشر الكفر في الأرض، ويدعو إلى الكفر وإلى الشرك، فهؤلاءِ أوجب الله علينا قتالهم، كفّاً لشرهم، وإظهاراً للحق، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(٣)، وقتالهم لأمرين:

الأمر الأول: كف شرهم عن الإسلام والمسلمين، وإتاحة المجال للإسلام أن يأخذ طريقه إلى الناس.

والأمر الثاني: لعلهم يهتدون بعد القتال، ويرجعون إلى الصواب، ولهذا جاء في الحديث: (**عجب الله من قوم يدخلون الجنة**

---

(١) سورة القصص، الآية: [٥٦].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٩٣].

(٣) سورة الأنفال، الآية: [٣٩- ٤٠].

في السلاسل) [1]، أي: يؤسرون في القتال بالسلاسل ثم يتوبون ويسلمون فيتوب الله عليهم، ويدخلون الجنة.

فقتالنا للكفار ليس طمعاً في أموالهم، أو في بلادهم، أو طمعاً في سفك الدماء، بل الجهاد في الإسلام لغرض شريف ولحكمة بالغة، وفيه إحسانٌ إلى البشرية، فهو ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو مقصود لمصالح عظيمة.

تلك هي: المرتبة الثانية من التعامل مع الكفار، وهي القتال والجهاد في سبيل الله، إذا صار في المسلمين قوة واستطاعة للقتال، وتوفرت شروط الجهاد وانتفت موانعه فإنه فرض على المسلمين، فلا يجوز ترك الجهاد مع الاستطاعة، أمّا إذا كان المسلمون في حال لا يستطيعون الجهاد معها، فإنهم يؤجلونه إلى حين تسمح الفرصة، ويقتصرون على الدعوة كما كان الحال في سيرة النبي ﷺ، فإنه يوم أن كان في مكة، كان مقتصراً على الدعوة إلى الله، وكان منهياً عن القتال، لأنّ المسلمين لا يستطيعون القتال، ولو حاولوا لقضى عليهم العدو، فلما هاجر ﷺ إلى المدينة، ووجد الأنصار والأعوان، وصار للمسلمين قوة شرع الله الجهاد في سبيله، فبعد القتال إن لم يسلموا إمّا أن يدفعوا الجزية للمسلمين،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٠).

ويدخلوا تحت حكم الإسلام، أو أنهم يعاهدون المسلمين، ويبقون في بلادهم ويجري بينهم وبين المسلمين عهدٌ لا يعتدون بموجبه على المسلمين، ولا يصدون عن سبيل الله، ولا يمنعون الدعوة إلى الله عزّ وجلّ، فيعقد معهم الهدنة، ويعقد معهم العهد، كما عقد النبي ﷺ العهود والهدنة مع المشركين، إذا كان ذلك في مصلحة الإسلام والمسلمين.

وحينئذٍ لا يجوز للمسلمين أن يعتدوا عليهم، فالمعاهد يحرم الاعتداء عليه في دمه أو في ماله، لأنّ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، فهو داخل في ذمة المسلمين، ولهذا قال ﷺ: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)** [1]، هذا وعيدٌ شديد على من قتل كافراً معاهداً، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[2]، والنفس التي حرم الله هي نفس المؤمن، ونفس الكافر المعاهد، فالكافر المعاهد حرم الله نفسه وقتله، ومن قتله فقد خان العهد، وغدر بالذمة فعليه الوعيد الشديد، وأوجب الله فيه الدية، فمن قتل منهم خطأ فحكمه حكم المسلمين، فيه الدية،

---

(١) رواه البخاري (٣١٦٦).

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٣٣].

وفيه الكفارة، ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾[1].

انظر كيف أوجب الله الدية والكفارة في قتل الكافر إذا كان معاهداً، فمن قتل كافراً معاهداً خطأً كمن قتل مؤمناً خطأً عليه الدية والكفارة، وذلك لأجل العهد الذي بيننا وبينهم، والله جلّ وعلا قال: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾[2]، ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[3].

وكذلك الذي ليس بيننا وبينه عهد، لكنه دخل إلى بلادنا بإذن من ولي الأمر، يحمل رسالة من دولته، أو يأتي سفيراً لدولته، أو جاء ليتعلّم الإسلام، ويعرف الإسلام فهذا مستأمن، قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾[4]، هذا هو المستأمن يحافظ على حياته، ولا يعتدى عليه، حتى يرجع إلى بلاده.

---

(١) سورة النساء، الآية: [٩٢].

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٣٤].

(٣) سورة النحل، الآية: [٩١].

(٤) سورة التوبة، الآية: [٦].

وكذلك من أحسن إلى المسلمين ولم يسئ إليهم، ولم يحصل منه أذى عليهم، أو حصل منه إحسان إلى المسلمين، فهذا يكافأ بالإحسان، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(١)، فالكفار الذين لا يحصل منهم أذى على المسلمين، أو يبذلون مصلحة للمسلمين، فهؤلاء يكافؤون؛ لأنّ دينَ الإسلام دينُ العدالة والوفاء، فيبرون ويقسط إليهم بأمر الله سبحانه وتعالى، وكذا الوالدان إذا كانا كافرين فإن على الولد أن يبرّ بهما معروفاً لكن لا يتبعهما على دين الكفر، لكن لا يسقط حقهما -حق البر بهما- عن الولد، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾(٢). فيعاملهما ولدهما بالإحسان.

جاءت والدة أسماء بنت أبي بكر الصديق، جاءت إليها في المدينة وهي كافرة تطلب منها المساعدة والإعانة، فتوقفت أسماء رضي الله عنها حتى

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: [٨].

(٢) سورة لقمان، الآية: [١٤- ١٥].

سألت النبي ﷺ قالت: إن أمي قدمت وهي راغبة-يعني محتاجة- أفأصلها؟ قال: **نعم صلي أمك)**[١].

كذلك الذي يدخل إلى بلادنا مستقدماً لعمل ما فهذا يدخل في حمايتنا، وفي ذمتنا، ولا نعتدي عليه، ولا نترك أحداً يعتدي عليه أو يؤذيه حتى يرجع إلى بلاده، لأننا نحن الذين استقدمناه، وأمناه، فيجب أن نفي له بالحق؛ لأنّ الإسلام ليس دين خيانة، أو دين غدر، والاعتداء عليه تنفير للكفار عن الدخول في الإسلام، وأمّا إذا رأوا هذا التعامل الطيب من المسلمين فهذا مدعاة لأن يدخلوا في الإسلام ويدركوا عدالة الإسلام، والله نهى عن العدوان على الكفار، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٢].

فلو حصلت خصومة بين كافر ومسلم عند القاضي، فالقاضي لا يحيف مع المسلم إذا كان الحق مع الكافر، فإنه يحكم له على المسلم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ......﴾.

أي دين هذا الذي هذه مزاياه؟! وهذا تعامله مع الناس؟! هذا دينٌ عظيم، لو أن أهله عرفوا أحكامه، ونفذوها لصار لهذا الدين مزيةً عظيمة كما كان في عهد النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: [٨].

أذكر قصة على عهد النبي ﷺ من تعامله مع الكفار: جيء بثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة كافراً، أسرته سرية رسول الله ﷺ وهو قادم يريد العمرة، فأسروه وجاؤوا به إلى المدينة وهو كافر، فربطه النبي ﷺ في سارية في المسجد، وجعل كلما مرّ عليه الرسول ﷺ قال: ما وراءك يا ثمامة؟ فيقول: خير يا محمد، إن شئت مالاً فخذ مالا، وإن عفوت تعف على شاكر، وردد عليه ﷺ كلما يمر عليه يقول: ما وراءك؟ فيجيبه بهذا الجواب، في النهاية قال ﷺ: **(أطلقوا ثمامة)، فأطلقوه** فذهب ثمامة إلى نخل قريب من المسجد فتوضأ، وتطهر ثم جاء الرسول ﷺ وقال: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، واللهِ ما على وجه الأرض شخص أبغض إليّ منك، ولا على وجه الأرض وجه أكره عندي منك، ولا على وجه الأرض دين أكره اليَّ من دينك، والآن واللهِ يا رسولَ الله إنك أحبُّ الناس إليَّ، وإنّ دينك أحبُّ الأديان إليّ"[1].

إنّ الرسول ﷺ تعامل معه تعاملاً حسناً؛ لأنه في ذمة المسلمين، وأسير عندهم، ولم يسئ إليه، فكان ذلك سبباً في إسلامه، وكان ذلك سبباً في ضرب ثمامة الحصار على أهل مكة، لأنهم كانوا يمتارون من اليمامة الحبوب، فثمامة لما أسلم منع أهل مكة من استيراد الحبوب من اليمامة.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٢).

فهذه نتيجة رفق الرسول ﷺ بهذا الأسير، فالله جلّ وعلا قال في مدح الأبرار: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[1]. فالله جعل الإحسان إلى الأسرى من صفات الأبرار، وكان هذا من أسباب دخول كثير منهم في الإسلام.

الحاصل أن الشاهد من هذا أن الكافر إذا كان بيننا وتحت أمننا؛ فإنه لا يجوز لأحد أن يتعدّى عليه، ومَنْ تعدّى عليه فإنه عاص لله ورسوله، ومستحق للعقوبة؛ لأنه أساء إلى الإسلام، وشوهه، كذلك نتعامل مع الكفار في المباحات من البيع والشراء، واستيراد البضائع، واستيراد الأسلحة، والانتفاع بخبراتهم لأن هذا مما أباحه الله سبحانه وتعالى، وهذا فيه قوة للمسلمين.

وكانوا في عهد النبي ﷺ يتاجرون مع الكفار، ويشترون منهم ويبيعونهم، فهذا من المصالح بين الناس، وكذلك أهل الخبرة منهم نستفيد من خبرتهم؛ لأن النبي ﷺ لما خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة استأجر رجلاً من الكفار وهو عبدالله بن أُريقط الليثي، كان هادياً خريتاً، فاستأجره ليدله على الطريق[2]، فاستفاد من خبرته في الطريق،

---

(١) سورة الإنسان، الآية: [٨].

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٣).

ودفع له الأجرة، فهذا من مصالح المسلمين وهذا أيضاً مما يتيح الفرصة للكافر في أنه يرغب في الإسلام إذا رأى هذا التعامل العجيب، وهذا التعامل الطيب.

فالحاصلُ أن دين الإسلام دين الدعوة ودين الجهاد في سبيل الله، الجهاد وفق الكتاب والسنة، وليس العدوان والاعتداء على الناس المستأمنين والمعاهدين بالتفجير أو بالغدر والخيانة، هذا ليس من الإسلام ولا من أخلاق الإسلام، بل من أخلاق أهل الشر والخونة، وليس من أخلاق المسلمين.

فعلينا أن نتنبه لهذه الأمور العظيمة، ومنها التعامل بين المسلمين والكفار، ولا يمكن هذا إلا بالرجوع إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وإلى كتب أهل العلم.

كذلك مما نتعامل به مع الكفار أنهم إذا كانوا أهل ذمة، أو أهل عهد يعيشون في بلادنا وتحت ولايتنا؛ فإننا نمكنهم من مزاولة عباداتهم لكن فيما بينهم سراً، ولا يظهرون ذلك بين الناس، وإنما يعملونه في بيوتهم والأمكنة الخاصة بهم، أمّا أنهم يظهرون عباداتهم في بلاد المسلمين فهذا لا يجوز، وليس هذا من حقهم.

الحاصل أن التعامل مع الكفار في دين الإسلام له مجالاتٌ كثيرة، وله أحكام، وله ضوابط نجدها في كتاب لله، وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي سيرته ﷺ وفي كتب العلم. فمن أراد أن يعرف هذه الأمور فليراجع المصادر الموثوقة من كتب أهل العلم مثل كتاب: «أحكام أهل الذمة لابن القيم»، بعد كتاب الله وسنة رسوله وسيرته ﷺ؛ لأجل أن المسلم يكون على بصيرة من هذا الأمر، لأنه لُبس على الناس الآن في أمر التعامل مع الكفار، فظن أناس من المتطرفين، أو من المغرضين أن دين الإسلام دين عدوان، وأنه لا يفي بالعهود، وأن حكم الكافر أنه يقتل، ويسفك دمه ويؤخذ ماله دون ضوابط شرعيه، ودون رجوع إلى ولاة الأمور، وإلى أهل العلم مما سبب ارتباكاً عند المسلمين، وسلّط الكفار على المسلمين، وصار الكفار الآن يصفون كل مسلم بالإرهاب، بسبب تصرفات هوجاء من بعض جهلة المسلمين.

فالواجبُ أن نتقي الله سبحانه وتعالى، وأن نرجع إلى ديننا رجوعاً صحيحاً، فنسأل علماءنا ونرجع إلى أهل العلم، ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

(١) سورة النساء، الآية: [٨٣].

وفقني الله وإيّاكم وجميع المسلمين لمرضاته، ووفقنا جميعاً للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في دين الله، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...